

الهجرة الأندلسية وتأسيس «قلعة الأندلس»

أ. رملة الحصائري

جامعة تونس

مقدمة:

تعتبر المدن والقرى الأندلسية سواء الموجودة بتونس أو بمختلف البلدان المستقبلية للأندلسيين، مناطق ثرية على جميع المستويات فنجد معالم دينية وعسكرية وعمومية وغيرها بلسمات أندلسية بالإضافة إلى المجال الفلاحي والاقتصادي والعادات والتقاليد...

عادة ما تكون بحوزة هذه المناطق تراث مادي ولا مادي متميز بتمازجه بين ما هو محلي ودخيل، ونظرا لثراء هذا الموضوع نسعى للبحث في مختلف القرى والمدن الأندلسية والتعرف عليها وإقامة دراسة مقارنة بينها لاستخراج هذا الطابع الأندلسي الفريد الذي يمثل هوية هذه المناطق، في هذا الإطار يتنزل بحثنا هذا وهو خطوة أولى لاستعراض أحد القرى الأندلسية بالشمال التونسي وهي «قلعة الأندلس». يحتوي هذا العمل على عنصر أول نستعرض فيه معلومات مختلفة حول الهجرة الأندلسية ثم عنصر ثاني خاص بانتشار الأندلسيين، لنخصص العنصر الثالث للحديث عن الأندلسيون بتونس، ونستعرض أهم المدن والقرى الأندلسية في العنصر الرابع ونختم بعنصر خامس وأخير نعرف به بالقرية الأندلسية «قلعة الأندلس»، إن الهدف من عملنا هذا التعريف بالمدن والقرى الأندلسية بتونس وبعث مشاريع بحث لدراسات مقارنة بين مختلف المدن والقرى الأندلسية الموجودة ببلدان أخرى خاصة بشمال إفريقيا ونخص بالذكر الجزائر والمغرب.

1- الهجرة الأندلسية:

قبل الخوض في الحديث عن أسباب الهجرة الأندلسية يكون من الطبيعي أن نبحث في معنى كلمة الأندلسية التي هي مشتقة من مصطلح الأندلس: فبعد أن احتلت قبائل الوندال Vandale الجزيرة الأيبيرية أطلق عليها اسم «فندلسيا» (Vandalusia).

لقد أطلقت على الأندلس عدة ألفاظ مثل: الأندلس، الأندلس، الفندلش¹ من كل هذه الأسماء أخذ المؤلفون العرب مصطلح الأندلس. قدم من الأندلس وفود مطردة من بلدانها نحو شمال إفريقيا وبذلك سميت الهجرة الأندلسية.

بعد الفتح العربي وفتح الأندلس سنة 711 م حقق العرب انتصارات هائلة وتم نشر العقيدة الإسلامية، لكن سرعان ما اتبع ملوك إسبانيا سياسة جعلت الحضور الإسلامي يتدهور بسرعة

إضافة إلى الدور السلبي الذي لعبه رجال الكنيسة بموقفهم المعادي للإسلام ، ونتيجة لذلك عان المسلمون في الأندلس التعذيب وسوء المعاملة بالإضافة إلى صدور عدّة قوانين ومراسيم جعلت الهجرة على مراحل عديدة. رغم ذلك صمد المسلمون إلى أن انطلقت النواة الأولى للمقاومة الإسبانية من الشمال وذلك في عصر الولاة (95/ 138 هـ).

لقد تعدّدت طرق المواجهة ضدّ المسلمين واتّبعت سياسة جعلت الحياة تشتدّ قسوة شيئا فشيئا ممّا جعل أفواج الهجرة ترتفع، فبعد الهجرة الفرديّة والجماعيّة التي لم تكن إجباريّة والمتمثلة في طبقة الأثرياء والعلماء² بدأت عمليّة الاضطهاد وصولا إلى الطرد الجماعي.

لقد اختلف المؤرخون حول تقسيم مراحل الهجرة الأندلسيّة سواء نحو المغرب أو إفريقيّة. وعند تصفّحنا مختلف المصادر نلاحظ أنّ الوجود الأندلسي يسبق عدّة تواريخ التي تمّ خلالها نفي الأندلسي نفيّا نهائيا وهو ما أكّده حسين خوجة «إنّ الهجرة الأندلسيّة إلى تونس بدأت منذ أن أخذت كفت النصرانيّة تترجّح أكثر إثر معركة العقاب. فعندما بدأت الممالك الإسلاميّة تسقط الواحدة تلوّى الأخرى انطلقت الهجرة الأندلسيّة وهذه الأخيرة ليست إجباريّة. يذكر أنتونيو دمنقير هورث و برنارد «إنّ في تونس كان يقيم الكثير من الأندلسيين منذ القرن الثالث عشر، فكثيرا من الاشبيليين كانوا قد وصلوا إلى هناك عند سقوط مدينتهم في عام 1248 م كما وصل الكثيرون من شرق إسبانيا أيضا»³.

رغم الاختلاف حول تقسيم هذه المراحل نجد إجماعا على المرحلة النهائيّة التي تعتبر مرحلة النفي النهائي في بداية القرن السابع عشر، وهي أكبر موجة للهجرة الأندلسيّة.

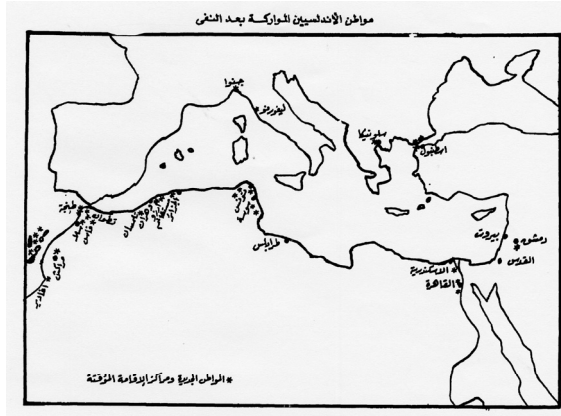
2 - انتشار الأندلسيين :

سنركّز اهتمامنا على الأندلسيين الذين أطرّدوا طردا نهائيا والذين قدموا في آخر موجة لهم. بعد الهجرات المتتالية والمستمرّة للمورسكيين وعلاقة الموريسكيين الدائمة بمسلمي إفريقيّة والتي بدأت تقريبا منذ سقوط الممالك الإسبانيّة الواحدة تلوّى الأخرى وهو ما يؤكّده الدكتور خليل إبراهيم السمرّاوي في كتابه تاريخ المغرب العربي «إنّ هجرة الأندلسيين إلى المغرب، ودور المغرب في احتضانهم، لم يقتصر على القرون التي أعقبت سقوط غرناطة بيد الإسبان عام 897 هـ ، بل إنّ المغرب احتضن المهاجرين الأندلسيين منذ أن بدأ الإسبان يحتلّون أهم حواضر الأندلس، وبالذات بعد سيطرتهم على مدينة طليطلة عام 478 هـ/ 1085 م⁴. وكذلك ما يذكره عنان في نهاية الأندلس من علاقة وطيدة بين الموريسكيين بمولاي زيدان (1017هـ - 1037هـ - 1608 م - 1627 م) وهو صاحب المشاريع الواسعة لغزو إسبانيا⁵.

أصدرت الحكومة الإسبانية مرسومها الشهير في جماد الآخرة عام 1018 هـ/ 22 أيلول 1609 م الذي يتضمن النفي النهائي للموريسكيين. وفي سنة 1615 م تمّ تنفيذ هذا المرسوم . ويتضمّن هذا الأخير الأسباب التي دعت إسبانيا إلى نفي المواركة وهي أسباب اقتصادية ودينية كما أشار إليها البشتاوي⁶.

وإثر هذا النفي انتشر الأندلسيون في عدّة بلدان بحثا عن الاستقرار وبداية حياة جديدة، وتتفق كلّ المصادر تقريبا على أنّ أكبر نسبة من هؤلاء المهجرون اتخذوا شمال إفريقيا وجهة أو بلاد المغرب والتي أطلق عليها مرسوم الطرد بلاد البربر⁷.

الخريطة رقم 1 :مواطن الأندلسيين المواركة بعد النفي



المصدر: البشتاوي، 1990 ، ص 85

عاش الموريسكيون ظروفًا سيئة أثناء تنقلهم من بلد إلى آخر قبل الوصول إلى البلدان التي استقروا بها نهائيًا كمصر والشام والقسطنطينية⁸.

ومما يرويه لنا صاحب النفح الطيّب، يؤكّد على استقرار الموريسكيين في مدن الساحل المغربي فيقول : « إلى أن كان إخراج النصارى بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف، فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان و من وهران، وجمهورهم خرج بتونس»⁹.

وقد كان في زاد الموريسكيين المطرودين رغبة في الاستقرار والنشاط لتحقيق عيش هادئ بالبلدان التي يؤمنونها فكان منهم الحرفيون ورجال علم وفلاحين... فعمرّوا عديد المدن فازدهر بهم الاقتصاد وتقدّمت عديد العلوم¹⁰.



وبذلك وبدون شك خسرت إسبانيا هذه الفئة لما كانت تقدّمه من خدمات جليلة للبلاد في كلّ الميادين وخاصة منها الفلاحة إذ كان العرب مختصّون في الميادين الفلاحي، كإدخال أساليب الريّ وغراسة النباتات والأشجار المثمرة من بلاد الشام وإدخال محاصيل جديدة كالأرز والقصب السكّري¹¹. وقد تمّ إصدار عدّة كتب تعنى بالمجال الفلاحي والتي أحصاها الدّكتور توفيق الطّبيبي لعلّ أهمّها أرجوزة ابن ليون التوجي في الفلاحة¹².

فالرحالة الأجانب الذين زاروا إسبانيا انبهروا بالمناطق الخضراء والأراضي الشاسعة والتنوّع النباتي¹³ ويضيف البشتاوي «ومع رحيل الأندلسيين المواردية تغيّرت طبيعة الأراضي في كثير من مناطق قشتالة وأرغون وغرناطة وبلسنية وإن كان الممالك الثلاثة الأخيرة قد تحمّلت الصدمة الأكبر»¹⁴.

مجمال القول أنّه برحيل الأندلسيين لم تكن خسارة الأسبان مقتصرة على الفلاحة فقط بل شملت ميادين أخرى فهي بذلك قد أطردت القلب النابض الذي يحيي كلّ أعمالها «لم يعرف الأسبان المضللون معنى العمل الذي أقدموا عليه لأنّ نفي الأندلسيين حمل إليهم المتعة... ولكنهم لم يفهموا أنّهم قتلوا إوزتهم الذهبيّة»¹⁵.

3 - الأندلسيون بتونس :

وصل إلى البلاد التونسية خلال الطّرد النّهائي وفودا هامة من الموريسكيين وهي الهجرة المعروفة «بالهجرة الأخيرة» والتي لا يمكن تحديد تاريخها إذ تتراوح حسب المصادر بين سنوات 1607-1608-1609 م وتصل إلى سنوات 1613-1615 م¹⁶. ومن أقدم المصادر التي تعرّضت لهذه الهجرة هو ابن أبي دينار إذ يقول: «وفي هذه السنة والتي تليها جاءت الأندلس من بلاد النّصارى نفاهم صاحب إسبانيا وكانوا خلقا كثيرا فأوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرّق ضعفائهم على النّاس وأذن لهم أن يعمّروا حيث شاءوا فاشتروا الهناشر وبنوا فيها واتّسعوا في البلاد واستوطنوا في عدّة أماكن»¹⁷. أمّا ابن أبي الضياف فيقول في هذا الإطار : «سنة ستّة عشرة وألف (1016هـ الموافق لـ 1607 م)، قدمت وفود من الأندلس فارين بدينهم لما أخذت بلادهم فأحسن عثمان داي قراهم وأكرم مثواهم وأنس غربتهم وعصّم مقدمهم وحثّ أهل الحاضرة على إكرامهم وآخى بينهم اختاروا من الأرض وكان ذلك إثر الطّاعون»¹⁸. وفي إطار تحديد تاريخ قدوم الموريسكيين إلى تونس يضيف محمود مقديش : «في سنة سبعة عشر وألف قتل عثمان محمد باي ابن حسين باشا وفي هذه السنة والتي تليها جاء أهل الأندلس حين أخرجهم السبنيور لما طغوا عليهم وكانوا أولى بالخيار والبقاء فأوسع لهم عثمان داي في البلاد مع كثرتهم وفرّق ضعفائهم على النّاس وأذن لهم أن يعمّروا حيث شاءوا فانتشروا في البلاد وبنوا فيها»¹⁹.

وبذلك نكون قد ذكرنا أهمّ التواريخ التي نزل فيها الأندلسيون إلى تونس. أمّا عدد هؤلاء

فهو كذلك غير محدّد، فقد اختلف المؤرّخون حول عدد القادمين، وأوّل مصدر ذكر عددهم هو مصطفى كرضناش : «وقد وصل وفود عديدة من الأندلسيين إلى تونس يقارب عددها السّنة والثلاثين ألف»²⁰. أمّا أنطونيو دومنقار أورتيت فيقدّم هذا العدد بـ 800 ألف²¹ كذلك جورج مارساي يري نفس هذا العدد²².

إثر قدوم الأندلسيين إلى تونس، تمّ استقبالهم والحفاوة بهم من قبل عثمان داي*، وهو ما ذكره ابن أبي الضياف وابن أبي دينار، فهو الذي فسح لهم المجال للاستيطان والاستقرار وأحسن معاملتهم، فلم يجدوا صعوبة في الاندماج فاستيسر لهم العيش والتعايش والبناء والتّعمير والانخراط دون صعوبات في جميع ميادين الحياة نظرا لما يتمتعون به من ثقافة وحذق في عدّة مجالات. يعتمد هذا الاندماج على معطى ديمغرافي كما يراه محمد حسن : «فمرّدّه النزاعات التي مرّقت البلاد طيلة نصف قرن وكذلك المجاعات والأوبئة وبذلك ساعد هذا الكم السكاني على تحوّل البلاد إلى قطب جاذب للاجئين وبالأخصّ مركز الحكم تونس وثانيا معطى اجتماعي يعود إلى حاجة المجتمع إلى الخبرات المتطوّرة للوافدين الجدد وكذلك التعاطف والتضامن مع من نكب في وطنه أمّا المعطى السياسي وهو الأخير يعود إلى مدى قابليّة السلطة للهجرة وتفاعلها معها وهي تقريبا نفس المعطيات التي تشهدها خلال فترة الحكم الحفصي»²³.

4 - المدن الأندلسية:

بعد توزيع الأندلسيين في البلاد التونسية شرعوا في الاستيطان والتعمير، ولقد أسسوا ما يزيد عن العشرين بلدة، تحدثت المصادر عن هذا الحدث البارز ومن ذلك يذكر ابن أبي دينار « اشتروا الهناشر وبنوا فيها واتسعوا في البلاد فعمرت بهم واستوطنوا عدة أماكن ومن بلدانهم المشهورة سليمان و بلي ونيانو أو قرمبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبربة وقريش الواد والسلوقية ومجاز الباب وتستور وهي من أعظم بلدانهم وأحضرها، والعالية والقلعة وغير ذلك بحيث تكون عدتها أزيد عن عشرين بلد فصار لهم مدن عظيمة»²⁴. وهنا سنقوم بعرض بسيط لأهم المدن الأندلسية و نظرا لما وصلت إليه هذه المدن من تطور على جميع المستويات خاصة منها الفلاحية و الحرفية كانت عرضة لمختلف الدراسات و البحوث التي اهتم بها عديد الباحثين.

تستور :

تأسست تستور على أنقاض مدينة رومانية وهي تيشيلا tichilla والتي لم يبق منها سوى آثار السور والطاحونة على مجردة وذلك خلال سنة 1609 م من هذا التاريخ نشطت بتستور الفلاحة السقوية وغراسة الأشجار المثمرة كما نشطت عدة صناعات منها الشاشية والقشابية

والمرقوم ²⁵ ...

العالية :

قرية أندلسية مطلة على البحر في أقصى شمال البلاد التونسية تأسست على أنقاض أوزاليس ²⁶ الرومانية ومن خلال النقيشة الموجودة فوق محراب الصحن نستطيع القول أن تاريخ تأسيس المدينة هو 1016 هـ ²⁷ ولقد أبرز محمد العزيمي عدة تأثيرات أندلسية في هذه المنطقة من معمار وعادات وتقاليد مختلفة ²⁸.

السلوقية :

توجد هذه المنطقة على ضفاف وادي مجردة وهي أندلسية تأسست على أنقاض كيديبيا Chedibbia رومانية حيث توجد بعض الآثار القديمة لعل أهمها الحنايا وبعض المواجه والنقائش، قدم الأندلسيون إليها من كتالونيا سنة 1609 وأسسوها وقاموا ببناء الجوامع وممارسة الفلاحة السقوية والصناعات التقليدية ²⁹.

«و ابتعدنا قليلا عن الطريق للمرور السلوقية وهي قرية بناها الأندلسيون» ³⁰.

مجاز الباب :

توجد على وادي مجردة وهي من ضمن المدن الأندلسية عمر بها الرومان وأطلق عليها اسم ممبرسة ³¹ sa membres.

قريش الواد :

توجد هذه المنطقة على وادي مجردة قدم إليها الأندلسيون من كتالونيون ³².

طبرية :

توجد هذه المنطقة على وادي مجردة أنشأها الأندلسيون على آثار Thuburbo Minus الرومانية 1609 م. و بذلك تكون قد حافظت على الاسم القديم تحتوي هته المنطقة على العديد من العادات الأندلسية ³³. «و كان نصيب طبرية من هؤلاء النازحين عدد لم تمكننا الوثائق المتوفرة حتى الآن من تحديده فبسطة لهم الأيدي و أفسح مجال الحياة» .

قلعة الأندلس :

توجد على وادي مجردة أسسها الأندلسيون ازدهرت بها تربية الماشية وممارسة الفلاحة السقوية وزراعة الزيتون ³⁴.

زغوان :

تعتبر زغوان من أهم المدن الأندلسية التي تأسست سنة 1609، نظر لموقعها الاستراتيجي « ربوة متصلة بجبل» فإنها شهدت الحضور البشري فيها مند القديم فهي ديكا الرومانية ، نجد بها معبد المياه والحنايا وقوس المدينة كما نجد بها تأثيرات أندلسية هامة منها طواحين الماء

لغسل الشاشية وزراعة الزيتون³⁵

أريانة

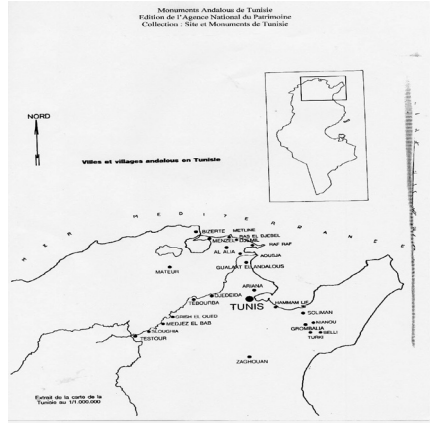
تمّ ذكر أريانة من ضمن المدن التي استقر بها الأندلسيون فهي توجد في الناحية الغربية لمدينة تونس سكن بها بعض العائلات الأندلسية بها عدة تأثيرات مثل الناعورة³⁶.

سليمان:

تعتبر سليمان من ضمن المدن الأندلسية توجد في شرق البلاد التونسية تفتح على بحر الوطن القبلي، يتأكد الحضور الأندلسي من خلال اسم مؤسسه الجامع الكبير بالمدينة وهو «سليمان الأندلسي»³⁷.

تم الاهتمام من طرف الباحثين عن مواقع استقرار الأندلسيين سواء كان ذلك في حالة إنشاء مدن أندلسية جديدة أو حتى انضمام العائلات الأندلسية الأصل إلى مناطق عامرة بالسكان، فبالإضافة إلى المدن التي ذكرناها سابقا والتي أشارت إليها مصادر مختلفة نجد ميكال قد أشار إلى عدة مناطق أخرى أندلسية كالجديدة، حمام الأنف، قرمالية، منزل جميل، رأس الجبل، الماتلين، عوسجة، ماطر، بنزرت، نيانو، تركي، بالي³⁸.

الخريطة رقم 2: المدن والقرى الأندلسية



مواقع ومعالم أندلسية: وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية، 1993، ص 3.

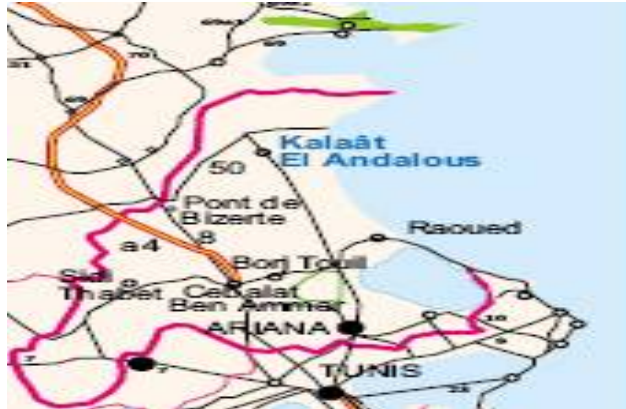
استقر الأندلسيون في مناطق عديدة من البلاد التونسية ولقد تم اختيار مواقع إستراتيجية لاستقرارهم فجلبها خصبة منها من يطل على البحر ومنها ما هو موجود على ضفاف وادي مجردة ومنها الجبلية،⁵⁴ وما يجب ذكره أنه هناك عددا من الأندلسيين قد استقروا بتونس

العاصمة وقاموا بممارسة عدة حرف لعل أهمها صناعة الشاشية والمرتبطة ارتباطا جذريا بالحضور الأندلسي، فهي قد عرفت انتعاشة بداية العهد الحفصي متزامنة مع الهجرة الأندلسية ويبدو أن أبا زكريا الحفصي خصص لها سوقا مما أدى إلى ظهور تقنيات لصناعة الشاشية³⁹، كما خصصوا أحياء خاصة بهم كحومة الأندلس وباب قرطاجنة ...، أما المعمار فنجد تأسيس المدرسة الأندلسية «وأقام فرقة منهم بمدينة تونس فبنوا مدرسة للعلم الشريف احتسابا لله ... وكان إنشائها في رجب سنة أربعة وثلاثين وألف [1034 / أبريل - ماي 1625]⁴⁰. ولقد أحصى عبد الحكيم القفصي المعالم الأندلسية بتونس العاصمة لعل أهمها: سوق الشاشية والجامع المدرسة التوفيقية وزاوية سيدي قاسم الجليزي وتربة يوسف باي ودار عثمان باي و الجامع الإشبيلي⁴¹.

3 - قلعة الأندلس قرية أندلسية:

توجد قلعة الأندلس في ولاية أريانة، وهي تقع على هضبة أما السهول فتمتد بالمنطقة الشمالية والجنوبية تحدها شمالا ولاية بنزرت وشرقا معتمدية رواد و معتمدية أريانة والبحر الأبيض المتوسط جنوبا ومدينة المنهيلة وسيدي ثابت غربا.

الخريطة رقم 3: موقع قلعة الأندلس



تأسست قلعة الأندلس بداية القرن 17 م، الإشكال الذي صادفنا عند بحثنا في تاريخ هته المنطقة هو قلة الوثائق أو بالأحرى انعدامها تماما، فلا نجد نقيشة أو وثيقة تحدد لنا بالضبط تاريخ إنشائها، في حين أن الذاكرة الشعبية للأهالي تذكر أن عائلة الأندلسي هي المؤسسة

لهذه المنطقة، فلقد قدموا من بلاد الأندلس الإخوان علي ورمضان وقاموا ببناء الجامع الذي يتوسط منزليهما ، وما يؤكد هته الرواية هي المحاضرة التي ألقاها الشيخ الحاج المكي بن بوبكر الأندلسي تحت عنوان قلعة الأندلس في سطور وذلك بتاريخ، الخميس 27 مارس 1971 م الموافق لـ 1389 هـ، هذا الأخير قد قام ببحث في تاريخ المنطقة نظرا لانحداره من أحد أهم العائلات الأندلسية ، وقد قام هذا البحث في مجمله على روايات أهالي المنطقة ممن يتمتعون بثقة الجميع في ذلك الوقت وأنهم من أكبر المتساكنين سنا على حد قوله.

يروى لنا الحاج المكي في محاضراته نفس الرواية التي تروى لنا الذاكرة الشعبية للأهالي حول تأسيس المنطقة « إثر سقوط الأندلس ونظرا للاضطهاد الذي لحق المسلمين هاجرا معظمهم برا وبحرا قاصدين الدول العربية بشمال إفريقيا خاصة ووصل إلى بلدتنا هته الإخوان الشيخ علي ورمضان وذلك في سنة 1017 هـ/1608 م نازحين من بلدة «بطلوس» بضواحي اشبيلية إحدى المدن الأندلسية»⁴².

التاريخ الذي ذكره الحاج المكي 1608 م هو التاريخ الذي نجده في العديد من المصادر لعل أهمها ابن أبي ظياف « سنة ستة وعشرة وألف (1016 هـ الموافق لـ 1607 م) قدمت وفود من الأندلس فارين بدينهم »⁴³. ولدنا في نفس المجال محمود مقديش الذي يذكر نفس التاريخ « سنة سبعة عشرة وألف قتل عثمان باي محمد داي ابن حسين باشا وفي هذه السنة والتي تليها جاء أهل الأندلس حين أخرجهم السبانيور»⁴⁴.

يرجع تاريخ تأسيس قلعة الأندلس إلى 1608 م كما يراه الحاج المكي لان هذا التاريخ هو الموافق ودون شك لقدوم آخر الوفود الأندلسية وربما لا يكون التاريخ الأصلي لتأسيس المدينة فليس لدينا لا وثيقة ولا نقيشة قد تأكد هذا التاريخ فرما يكون بعد 1608 حتى المصادر والمراجع التي ذكرت قلعة الأندلس لم تذكر تاريخ تأسيسها بالتحديد ولكن الجميع يتفق على رأي وحيد وهي أنها أندلسية الأصل ومؤسسوها هم من الأندلسيين أصحاب آخر وفد وصل إلى تونس وهذا ما أشار إليه ابن أبي ظياف وألكسندر ليزين⁴⁵.

ذكرت لنا الرواية الشفوية (الذاكرة الشعبية) أنه قدم إلى منطقتنا الإخوان علي ورمضان من بلاد الأندلس وقاموا ببناء الجامع الذي يتوسط منزلهما وهذا ما أكده لنا الشيخ المكي الأندلسي في محاضراته « وفي رجوعنا إلى الحديث عن الأندلسيين الأوائل نقول أنهم استقروا نهائيا بالبلدة حوالي سنة 1619 م، 1025 هـ وذلك عند إتمام بناء المنزل والجامع، فهذا روعهم وشعروا بالاطمئنان ففكروا في لقمة العيش، وبذلك وأمام صمت المصادر نتأكد أن نواة المدينة

يتكون من الجامع ومنزل لعللي وآخر لأخيه رمضان ويبدو أن الإخوان قد عاشوا فترة طويلة دون مجيء أي وفد أو فريق جديد من داخل أو خارج البلاد التونسية» وبقيت هته المجموعة من الأندلسيين تسكنوا هته البلدة وحدها قرنا تقريبا»⁴⁶.

وخلال سنة 1713 م/ 1125 هـ، بدأت تتوافد على قلعة الأندلس عدة فرق ساهموا في توسيع المدينة وارتفاع عدد سكانها وقد أحصى الحاج المكي هته الفرق معتمدا على دراسته الميدانية وجمعه للروايات الشفوية المتداولة لدى الأجيال السابقة، ففي سنة 1125 هـ / 1713 م، قدم فريق من قبيلة اللواتة وفي سنة 1140 هـ/ 1728 م قدم فريقا آخر هو فريق أولاد حسين التركي وفي سنة 1165 هـ/ 1752 م قدم فريق القراوة، وفي سنة 1174 هـ/ 1754 م قدم فريق المؤدب، وفي سنة 1190 هـ/ 1776 م قدم فريق أولاد علي الحداد، وفي سنة 1200 هـ / 1787 م قدم فريق الطرابلسية، وفي سنة 1205 هـ / 1817 م قدم فريق أولاد محمد بن يوسف، وفي سنة 1236 هـ / 1820 م قدم فريق أولاد غرس، وفي سنة 1237 هـ / 1821 م قدم فريق أولاد بن سالم وفي سنة 1268 هـ / 1852 م قدم فريق أولاد قزمير، وفي سنة 1274 هـ / 1857 م قدم فريق أولاد النقاش، وفي سنة 1276 هـ / 1859 م قدم فريق الذواودة، أما في سنة 1280 هـ/ 1859 م فقدم فريقان وهما فريق أولاد الرفراف وفريق أولاد عيار⁴⁷.

إن ما يميز العمارة العربية الإسلامية في مختلف الأقطار هي بالأساس المعالم الدينية مثل الجوامع والمساجد لاسيما وأن تخطيط المدن العربية الإسلامية راعى في كل عملية استقرار تخطيط الجامع كنواة مركزية لبقية مكونات المدينة⁴⁸، فنجد في قلعة الأندلس مثل هذا التخطيط، فالجامع يتوسط المدينة تلتف حوله بقية المكونات من منازل ومعالم دينية ومدنية أخرى، متأثرة بالطابع الأندلسي وقد سجلنا أقدم معلم أندلسي والمتمثل في مiazza تبعد عن الجامع قرابة العشرين متر وهي غرفة صغيرة مربعة الشكل تحتوي على بئر وحوض طويل للوضوء.

تتمتع قلعة الأندلس بأنشطة فلاحية وحرفية كثيرة ومتنوعة نخص بالذكر صناعة الفراشية وهي من أهم الحرف التي اشتهرت بها المنطقة وهي صناعة ضاربة في الجذور الأندلسية و تعتبر من أقدمها بالمنطقة للأسف مهددة بالاندثار نظرا لتراجع عدد الصناعيين العاملين بهذا القطاع. « اللحفة القلعية» أو « الفراشية القلعية » التي ترتادها المرأة وهي غطاء صوف ابيض اللون تغطي بها المرأة نفسها عند الخروج من المنزل فتخفي كامل جسدها ولا يظهر منه سوى الوجه والعينين فقط و بالإضافة إلى كونها وسيلة تستر بها المرأة نفسها عند تنقلها في المدينة

تستعمل الفراشية كغطاء للتدفئة أثناء الليل ولعل المثل الشعبي القائل «فراشية فراش منها حلا س و منها غطاء رأس» يحدد صراحة دورها و إلى اليوم لا تزال الفتاة في قلعة الأندلس تحمل الفراشية إلى بيت زوجها.

الصورة رقم 1: اللباس التقليدي بقلعة الأندلس (الفراشية)



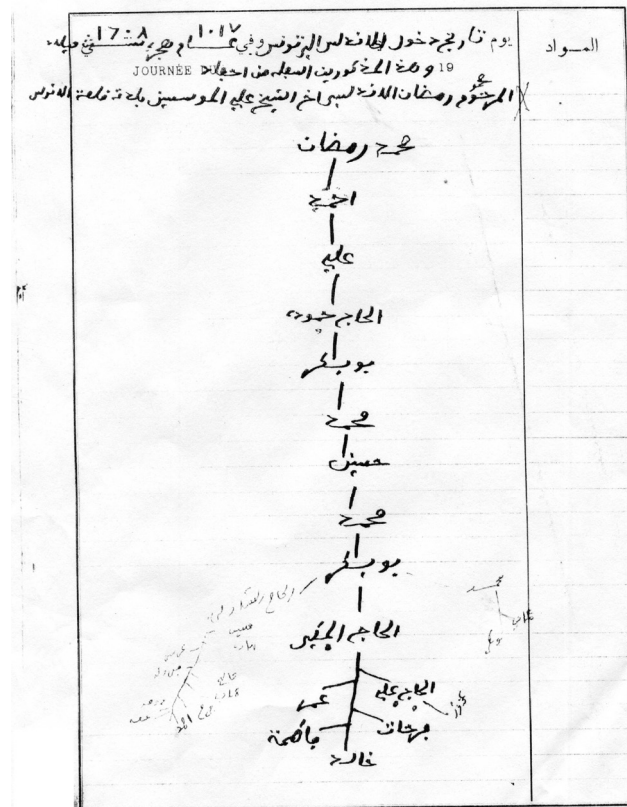
قلعة الأندلس تلك البلدة الشامخة المنتصبة على هضبة، تتباهى بأصالتها وتهزأ بالزمن وطوارئه، قلعة من القلاع الأندلسية الكبرى في بلادنا، كل الدلائل تشير إلى أن حضارات أخرى عمّرت بها قبل الهجرة الأندلسية فهذه المدينة، واسمها القديم « كسترا كورنيليا» تشارك قرطاج الخالدة في سواحلها، وتعانق سهولها مواقع أوتيك الأثرية.

تعتبر قلعة الأندلس من القرى الأندلسية التي ذكرتها مختلف المصادر والمراجع والدراسات الحديثة، والتي بحوزتها ارث تاريخي وحضاري وموروث أندلسي على جميع المستويات (المعمار، العادات والتقاليد، الأنشطة الفلاحية والحرفية) والتي توفر مواد للبحث كثيرة نستعرضها في مقال لاحق

الألقاب الأندلسية والألقاب المحلية بقلعة الأندلس

الألقاب الأندلسية	الألقاب المحلية
الأندلسي، ابن الحاج، ابن حسين، رزوقة، ابن رمضان، ابن سالم، ابن شعبان، ابن عثمان، ابن محمود، ابن كحلة، ابن مصطفى، الحداد، رجب، شبيل، قزمير، الطويل، الذيب، رهيط	التركي، القراوة، المؤدب، الكسوري، الطرابلسي، التبرسقي، الجزيري، الغربي، النقاش، بن هندة، هراب، الحنافي، القلعي، الصالح، بالعم، الحصائري، العربي، صنديد، الحوكي، الزهاني، البرادعي

شجرة العائلة الأندلسية المؤسسة لقلعة الأندلس



هوامش البحث:

- 1 - مكي محمود علي، الرحلات بين الشرق والأندلس، مجلة البيئة، العدد 2، الرباط 1962، ص 1. ص 67.
- 2 - محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، 1982، ص 15 و 206 و 165. اقتضرت الحقبة الوسيطة على هجرة الأعيان الذين استقروا داخل مدينة تونس، واشتغلوا بالعلم والسياسة.
- 3 - أنتونيو دمنفير هورث و برنارد بنشت، تاريخ مسلمي الأندلس المورسكيون، « حياة ومأساة أقلية»، ترجمة عبد العال صالح طه، قطر، الطبعة الأولى، سنة 1988، ص 290.
- 4 - الدكتور خليل إبراهيم السمرائي، تاريخ الجهاد الإسلامي في الأندلس، ص 201.
- 5 - عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس، بيروت، ص 393 و 395.
- 6 - لين بول، العرب في إسبانيا، ص 225.
- 7 - البشتاوي عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، 1982، ص 159 و 162.
- 8 - السمرائي، نفس المصدر، ص 418.
- 9 - المقرري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ط 1، مصر 1949، ص 96 و 120.
- 10 - المقرري أحمد بن محمد، نفس المصدر، بيروت، 1968، ج 4، ص 527 - 528.
- 11 - محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، بيروت 1992، ص 38.
- 12 - أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج 2، ص 414 إلى ص 417.
- 13 - الطيبي، نفس المصدر، من ص 414 إلى ص 424.
- 14 - البشتاوي، نفس المصدر، ص 176 - 177.
- 15 - البشتاوي، نفس المصدر، ص 176.
- 16 - السمرائي خليل، نفس المصدر، ص 417.
- 17 - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس 1967، ص 228.
- 18 - ابن أبي ضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، 1990، ج 2، ص 35.
- 19 - محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة 1988، ج 2، ص 90.
- 20 - مصطفى كردضاش، 1983 ص 81
- 21 - أنطونيو دومنقار أورتيث، جمهورية أندلسية بشمال إفريقيا، الأطوار التي مرت بـ 300 ألف مورسكي أطرودوا من إسبانيا في بحوث عن الأندلسيين في تونس، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس 1983 ص 99 و ص 101. (الملخص العربي)

22 - Marçail Georges , Manuel d'art musulman, Paris, 1927, p.842:

* عثمان داي: من أعيان الجند الذين قدموا مع سنان باشا. توفي 2 أكتوبر 1610، تولى دايًا سنة 1598 وهو أول من انفرد بالكلمة وأول من اتخذ الأساطيل والسفن للغزو في البحر. وقع في أيامه طاعون جارف يعرف بوباء بوريشة سنة 1604. وفي سنة 1607 قدمت وفود من الأندلس هاربين بدينهم فأحسن قراهم وحث

- أهل البلاد على إكرامهم. دفن بزاوية الولي سيدي أحمد بن عروس.» محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، تونس 2001، ص 355.
- 23 - محمد حسن، المدينة والبادية، تونس 1970 ص 130.
- 24 - ابن أبي دينار، نفس المصدر، 1967، ص 228
- 25 - Saadaoui Ahmed, « les Andalous » Ifriqiya Treize siècles d'art d'architecture, Musée, sans-frontière, Tunis- Aix en Prévence, 2000(p), P.113-135.
- حمروني احمد، تستور، وثائق و دراسات تقديم سليمان مصطفى زبيس، ميديا كوم، ص 56.
- جورج مارساي، تستور و جامعها الكبير، ترجمة سليمان م ز، المعهد القومي للآثار و الفنون تونس
- د نقولا هوبكنس، نبذة تاريخية عن تستور ، المجلة التاريخية المغربية ،جويلية 1977 عدد 9 ص 199 -200
- 26 - Sethom Hafed, à l'apport Andalou a la civilisation rurale de la presqîl de cap-bon, in Etudes sur les Moriscos Andalous en Tunisie, Madrid – Tunis, 1973, P 369.
- 27 Abdelaziz Daoulati, « inscription à la mosquée d'El Alya », in Etudes sur les Moriscos. Andalous en Tunisie, Madrid – Tunis, 1973,p 285-299.
- 28 - محمد العزيمي، العالية مدينة أندلسية ، دراسة تاريخية ومعمارية جامعة منوبة كلية الآداب والفنون والإنسانيات قسم التاريخ سنة 2008 ص 64 – 68 و 70 – 128 .
- 29 - أحمد الحمروني ، السلوقية دائرة المعارف التونسية ، بيت الحكمة الكراس 5 / 1995 ص 108 – 113 .
- 30 - - بيسونال جون اندريه ،الرحلة إلى تونس ترجمة وتحقيق محمد العربي السنوسي مركز النشر الجامعي 2003، ص 86
- 31 - أحمد الحمروني،المرسكيون الأندلسيون بتونس ،ص 38 .
- 32 - R, Thouvenot , Notes d'un Espagnol sur le voyage qu'il fait en Tunisie, 1724. In : Revue Tunisienne, N. , 1938 , p 35-36. .
- 33 - بشينة بن فرج،طربة الأندلسية العمارة والآثار، شهادة الملاج ستار كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة 2006 ص 38.
- 34 - Ab , Gafsi , Estudio economico- social de un pueblo andalousi Tunecino, Kalaat Andaous de 1847 à 1881 – dans : Zbis : Etudes sur les Morisques Andaous, INAA, Tunis, Tunis, 1983 , p. 243-250
- 35 - أحمد الحمروني ، نفس المصدر، ص 43 .
- 36 - Mohamed El Aouani, a la recherche des influences Andalouses dans les compagnes Tunisiennes , essai de mise au point – dans : Etudes sur les morisques Andaous, INAA, Tunis 1983 , p 374 – 378 .
- 37 - مصطفى سليمان زبيس ،جامع بلد سليمان في بحوث عن الأندلسيين في تونس سنة 1983 ، ص 40

- 41 - .
- بيوسنال، نفس المصدر، ص101-100
- 38 - Mikel de Epalza, petit, Etude sur les Moriscos Andalous en Tunisie, Madrid, Direction Général de Relations Culturelles, Instituto Hispano- Arabe de Culture, 1973, P 18 .
- 39 - محمد حسن، نفس المصدر، ج2، ص597.
- 40 - الوزير السراج، الحلل التونسية في الأخبار التونسية ، دار الغرب الإسلامي ، الجزء الثاني ، ص 344 .
- 41 - A.B..D Gafsi, Monuments Andalous de Tunisie, Editions de l'Agence National du Patrimoine, Collection, Sites et Monument de Tunisie, Cartes : monuments Andalous dans la Médina de Tunis.
- 42 - الحاج المكي، قلعة الأندلس في سطور، ، 1971، ص2.
- 43 - ابن أبي ظياف، نفس المصدر، 1967، ص228.
- 44 - محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، المجلد2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 ، ج2، ص 90
- 45 - ابن ظياف، نفس المصدر،، ص135.
- Alexander leszine, Utique,p75.
- 46 - الحاج المكي الأندلسي: نفس المصدر، 1971 ، ص 2.
- 47 - الحاج المكي الأندلسي، نفس المصدر، ص2 و3.
- 48 - هشام جعيط: 1986 ، ص 120 و 126.